محاضرات في مقياس: تاريخ الاستعمار وحركات التحرر في قارتي أفريقيا وأسيا في القرن التاسع عشر والعشرين.

من إعداد/ الدكتور: عبد القادر كركار –جامعة الوادي.

موجهة لطئلبة السنة ثالثة ليسانس **تخصص**: تاريخ عام.

السنة الجامعية:2022-2023م/1444هـ. **السداسي: الخامس**

- **المحاضرة الاولى: مفهوم وجذور الحركة الاستعمارية**

.

عناصر المحاضرة:

1- المفهوم اللغوي
2 – المفهوم الاصطلاحي
3 – جذور الحركة الاستعمارية
4- الكشوفات الجغرافية

مقدمة: شهد العالم موجة توسعات استعمارية استهدفت قارتي أفريقيا وأسيا من طرف الدول الأوروبية، تحولت إلى حركة سياسية واقتصادية عالمية امتدت طول القرنين التاسع عشر والعشرين، بداية من العصر الحديث.

1- **المفهوم اللغوي:**

الاستعمار لفظة محدثة مشتقة من عمر ، واستعمره في المكان أي جعله يعمره ، ومنه قوله تعالى: **{**هو الذي أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها **}** هود:61

فالأصل اللغوي يفيد معنى طلب التعمير والسعي لتحقيق العمران لكن الواقع لا علاقة له بالمعنى اللغوي[1].

وقد ذكر ابن منظور في معجم لسان العرب قوله: "عَمَر اللهُ بك منزِلكَ يَعْمُره عمارة وأعْمَره، أي جعله أهلا. ومكان عامرٌ أي مكانٍ ذو عِمارةٍ. "وأعْمَره المكان، واستعمره فيه: أي جعله يَعْمُره." ولإجماع الناس جميعا على أنّ اللغة الواردة في القرآن الكريم هي الأفصح مما في غيره فقد ورد في الآية 61 من سورة هود، قوله تعالى "هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"[2] وهو نفس التعريف اللغوي التي يؤكده مصطفى علي هويدي في مقال له حول الاستعمار الأوروبي.

وعليه، فمن حيث البناء اللغوي وفي اللغة العربية، فمصطلح الاستعمار يعد شيئا إيجابيا باعتباره يمثل العمارة والبناء، كما يمثل أيضا السكن والاستثمار، نفس الأمر يؤكده المفكر الجزائري المتخصص في الفكر الاسلامي، مولود قاسم نايت بلقاسم، إذ ذكر في احدى مداخلاته، على أنّ كلمة الاستعمار تمثل العمارة والبناء والفلاحة، وهي أمور إيجابية في حياة البشر وحضارتهم[3].

Dr ABD ELKADER KERKAR

أما في اللغات الاوروبية فالمصطلح مشتق من فعل كوليري (Colere) اللاتيني، الذي يقابله في اللغة العربية الفعل زرع، أو تعمير مكان، ومنه المزارع أي كولونوس(Colonus) الروماني. أما كولونيا(Colonia) فهي الأرض المزروعة، أو الضيعة أو الأرض التي قدمت للجندي الروماني من أجل فلاحتها وتعميرها مقابل خدماته العسكرية السابقة، أو مساحة من العقار قدمت لمواطنين رومان لا أرض لهم، نفس المصطلح، أي كولونيا، يقصد به المدينة الجديدة والتي تكون مركز حضري وتجاره لنفس الإقليم، وكذا نفس المعنى والاسم للمجموعة البشرية التي تقيم في نفس المركز، ومن تلك كله، فكلمة الاستعمار أو(Colonisation) يقصد بها في التعريف اللغوي رد الاعتبار لإقليم معين من أجل فلاحته وتعميره على أساس أنه خال من السكان أو أعتبر كذلك مع استيطان مجموعة بشرية فيه[4].

2- المفهوم الاصطلاحي:

ويعرف الشهابي الاستعمار موافقين لما جاء في المعجم الوسيط بأنه استيلاء دولة أو شعب على دولة أخرى وشعب آخر لنهب ثرواته وتسخير طاقات أفراده والعمل على استثمار وهذا التعريف يشمل أنواع مختلفة من الاستعمار لا تختلف عن بعضها إلا بالأسماء وبعض الأشكال[5] هو تسلط دولة ما على بلاد غير بلادها الأصلية بالقوة، وتكون القوة المستعملة لتحقيق تلك السيطرة ذات مظهر عسكري أو معنوي، قد يكون ممثلا في الاقتصاد أو الغزو الفكري من خلال نشر لغة وفكر الدولة الاستعمارية، أو اتفاقيات سياسية أو غير ذلك من وسائل الهيمنة، والغرض من وارء ذلك كله هو التوسع والسيطرة اللذان ارفقهما استغلال ثروات البلاد المستعمَرة واستعباد شعوبها[6]

فمفهومه عند بعض الفقهاء الاستعماريين هو ((الاتصال بالبلدان الجديدة لاستغلال امكانياتها الطبيعية المتنوعة واستثمارها لفائدة الوطن ونقل محاسن الثقافة الفكرية والاجتماعية والعلمية والأخلاقية والفنية والتجارية والصناعية والتي هي وقف على الاجناس المتفوقة))[7]

وبهذا المفهوم الذي يفيد المقايضة او المبادلة يوهم الاستعمار بتخليه عن خاصيته الأساسية التي هي الاستغلال البشع والولع بالربح mercantilisme ويحاول إضفاء نوع من الشرعية وإيجاد تبرير لسيطرته السياسية والاقتصادية في مقابل (رسالة التمدين) التي يضطلع به حسب زعمه في البلدان غير المتحضرة[8]

الاستعمار الأوروبي الحديث، هو توسع سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي وديني لدول أوروبا في كل من أمريكا وافريقيا وأسيا، امتد من نهاية القرن الخامس عشر إلى الثلث الأخير من القرن العشرين، اعتمد فيه هؤلاء الأوروبيين على القوه العسكرية كوسيلة لتحقيق السيطرة على شعوب هذه القارات، ثم حصل استغلالها واستعبادها، أما الهدف الأخير من وراء كل ذلك هو "تحقيق الربح أو الرفاهية" الاقتصادية للمتربول[9] .

فمن أشكال الاستعمار أن تضع دولة ما أخرى تحت حمايتها وإشرافها وتسلبها من حريتها بقدر ما هي تناسب مع قوة هذه الدولة وضعف تلك ، وفي الأغلب يكون للدولة المحمية شبه سيادة داخلية يمارسها حكام وطنيون تديرهم الدولة المستعمرة من خلف ستار[10] إلى غاية الحرب العالمية الثانية ظل الاستعمار يحرك لدى معظم الاروبيين الإحساس بالتفوق الحضاري والتطور الاقتصادي

Dr ABD ELKADER KERKAR

وروح التوسع والهيمنة ورغبة الاحتلال، ذلك أن الاستعمار في نظرهم ليس عاملا أساسيا للأزدهار الاروبي فحسب بل هو عامل لتطور البلدان المستعمرة كذلك[11]

3-جذور الحركة الاستعمارية الأوروبية:

قد يعد الاستعمار قديما قدم الانسان فمن الممكن ان ننظر الى التاريخ القديم على انه فصول متلاحقة أو متداخلة من الهجرات والغزوات ولكن مثل هذه كانت اقرب الى الحركات غير الهادفة بل البدائية أو الغريزية منها الى الحركات المقننة المخططة [12]

يقصد بها تلك التوسعات التي عرفتها أوروبا خارج حدودها الجغرافية مع بداية ما أطلق عليه عصر الكشوفات الجغرافية، اعتبر وصول البرتغاليين إلى جزر ماديرا سنة 1419م، ثم الاستيطان في جزر الأزور ابتداء من 1409، وتأسيس ميناء مدينة فونشال وغيرها من المستوطنات لزراعة القمح والكروم، فذلك بداية للرغبة في التوسع الحر، بعيدا عن الاصطدام الذي كان مع المرينيين في المغرب الاقصى[13]. يمكننا ان نقسم الاستعمار في العصور الحديثة الى موجتين أساسيتين:

أولاهما تغطي القرنين السادس عشر والسابع عشر واتجهت أساسا وان لم يكن كلية الى العروض المعتدلة والبلاد الجديدة ولهذا اتسمت بالاستعمار السكني الاستيطاني الى حد بعيد

اما الثانية فتحتل القرن التاسع عشر وتنصرف في جوهرها الى العروض المدارية والبلاد القديمة ومن ثم سادها الاستعمار الاستغلالي [14]

4- بدايات التوسع الأوروبي في عصر الكشوفات الجغرافية:

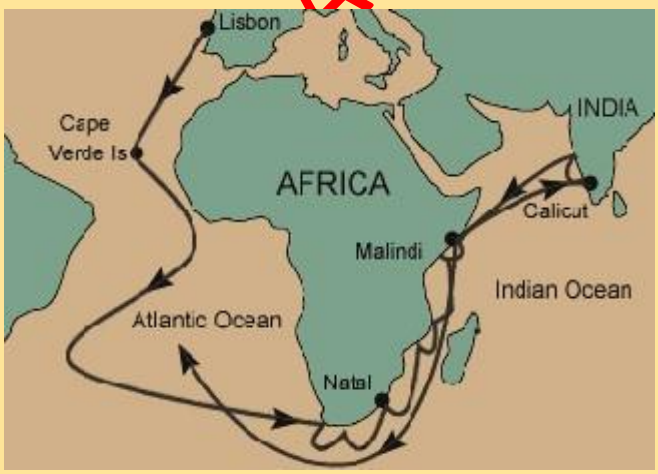

إن الاستعمار الذي يبدو بعامة حديث العهد ويرتبط لأمر ما في الكتابات الدارجة بالقرن التاسع عشر بوجه خاص هو الاخر ظاهرة قديمة لها أصول تاريخية بعيدة بدرجة أو بأخرى فالاستعمار الحديث الذي يحتضر اليوم انما استوى على سوقه في القرن التاسع عشر فقط أما جذوره فهي في أعماق عصر الكشوفات الجغرافية منذ القرن السادس عشر وما بعده[15] أما فكرة الاستعمار وتحقيق الرفاهية والتحكم في الطرق التجارية فقد كان البرتغاليون أول الأوروبيين الذين لجأوا إليها، وذلك من خلال نشاطهم البحري على سواحل غرب إفريقيا ومنها إلى جنوب

ABD ELKADER KERKAR

وشرق القارة التي وصلوها بعد 70 سنة من الابحار ومحاولتهم الدوران حول إفريقيا، إذ تحقق ذلك مع رحلة فاسكو دي غاما سنة 1498، الشيء الذي فتح الباب للمنافسة مع إسبانيا، التي كانت تحت حكم الملوك الكاثوليكيين، الذين شجعوا وموّلوا رحلات كريستوف كولمبس.

إنّ الوصول إلى جزر الهند الغربية وما أطلق عليه فيما بعد مصطلح "العالم الجديد"، ثم قارة أمريكا، بعد سنة واحدة فقط من وفاة كولومبس، قد فتح البال للصراع حول مناطق التوسع بين إسبانيا والبرتغال في نهاية القرن الخامس عشر، الشيء الذي جعل الفاتيكان والممثل في شخص البابا يتدخل لدى الدولتين الكاثوليكيتين ويعقد بينهما صلح أو إتفاقية توردیسیاس (Tordesillas)

إنّ التوسعات البرتغالية والاسبانية بدأت في الحقيقة من شمال إفريقيا)المغرل الأقصى(خلال النصف الأول من القرن الخامس عحر، وتلك في إطار مواصلة الاسبان لحروبهم التي كانت في حبن الجزيرة الايبيرية ضد المسلمين، وطردهم منها نهائيا سنة 1490 بعد سقوط غرناطة، وفي إطار بحث هاتين الدولتين عن طرق تجارية جديدة بعيدة عن سيطرة المسلمين في المغرل والمحرق، تطلعت أمانيهما ومغامراتهما للخوض في بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)،[16] تلك ما أدى بالدولتين إلى تأسيس امبراطوريات واسعة في العالم الجديد[17]، مع مراكز للبرتغاليين في قارة إفريقيا وفق نصوص معاهدة توردیسیاس التي سبق تكرها.

بذلك أسس البرتغاليون إمبراطورية في شكل مراكز تجارية على طول السواحل الافريقية ربا وحرقا وجنوبا، وحتى في سواحل اليمن وعمان وبلاد الهند، والبرازيل في القارة الامريكية، وفي الوقت نفسن امتدت الامبراطورية الاسبانية من جنول الولايات المتحدة الأمريكية الحالية إلى غاية أقصى جنوب الأرجنتين والشيلي في أمريكا الجنوبية، وعليه قضت إسبانيا على حضارتين عريقتين في العالم الجديد هما حضارة الأزتك في المكسيك حاليا ، وحضارة الإنكاس في البيرو[18]. مع الكشوفات الجغرافية نتعامل مع جذور الاستعمار او على الأقل بذور الاستعمار المعاصر مباشرة فقد ولد الاستعمار الحديث في حجر الكشوفات الجغرافية ولا نقول في رحمها ففي تلك الفترة خرجت اروبا تضرب في المجهول فعادت تحمل الى العالم عالما جديدا[19]

Dr ABD EL KADER KERKAR

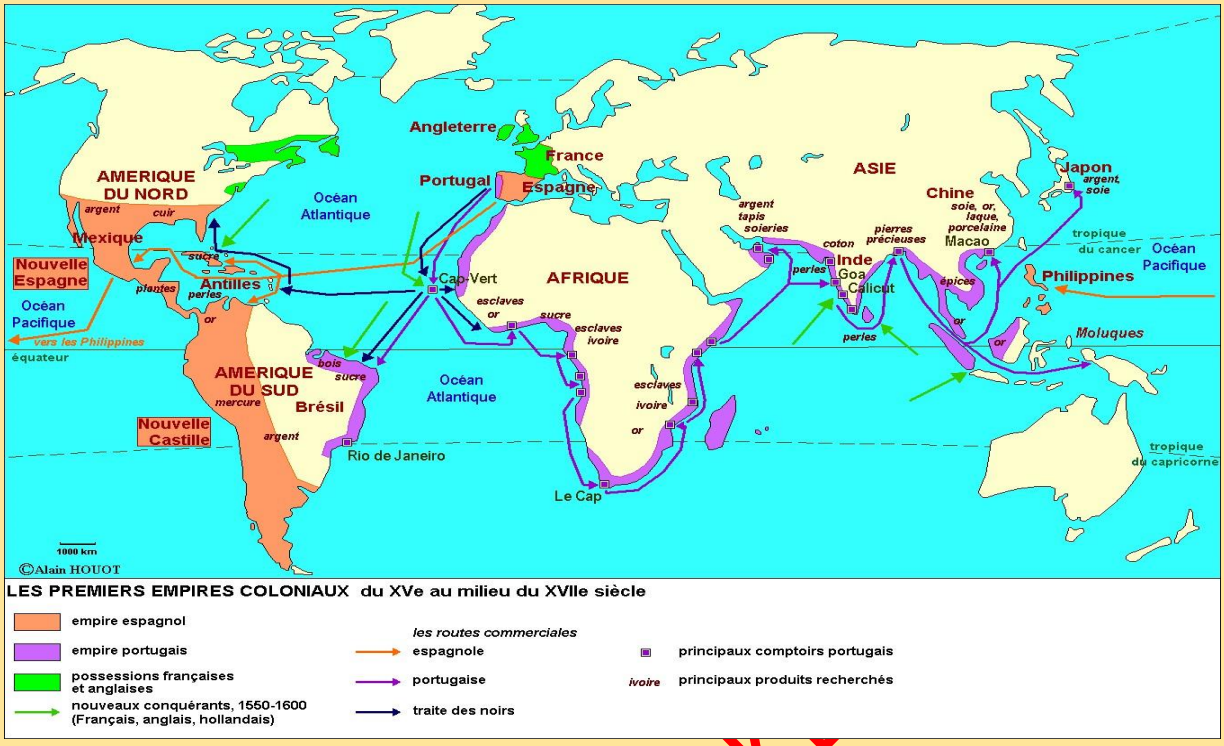

خريطة تبرز امتداد الامبراطوريتين، الاسبانية والبرتغالية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. [20]

Dr ABD ELKADER K

---

[1] منقذ بن محمود السمار الاستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية مكتبة طريق السلام ص3

[2]- الآية 61، من سورة هود.

[3] عمر عبد الناصر مطبوعة بيداغوجية لمقياس الاستعمار وحركات التحرر موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس جامعة قالمة ص12 https://cutt.us/OHFFS

[4] نفسه، ص13

[5] منقذ بن محمود السمار الاستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية مكتبة طريق السلام ص3

[6] عمر، عبد الناصر، ،ص14

[7] عبد الحميد زوزو تاريخ الاستعمار والتحرر في أفريقيا وأسيا ديوان المطبوعات الجامعية 2009 ص7

[8] نفسه، نفس الصفحة

[9] عمر عبد الناصر، 18

[10] منقذ، بن محمود السمار، ص3

[11] عبد الحميد، زوزو، ص7

[12] جمال، حمدان، استراتيجية الاستعمار والتحرر، دار الشروق، بيروت،لبنان، ص13

[13] عمر، عبد الناصر، س19

[14] جمال، حمدان، ص49

[15] نفسه، ص8

[16] عمر، عبد الناصر، ص20

[18] نفسه، نفس الصفحة
[19] جمال حمدان، ص49
[20] عمر عبد الناصر،20

Dr ABD ELKADER KERKAR